نظرة

في قواعد علوم العربية وآدابها

— ما ينبغي التنبه الى معالجته وتمهيد سبله —

قبل ان أتناول قواعد علوم العربية وآدابها في هذا البحث اود القاء كلمة موجزة بشأن اختيار الفاظ فنية اصطلاحية للمعاني المستحدثة مما اوجدته شؤون المجتمع الحديثة واتساع نطاق العلم والفن والصناعة فيه فأقول :

ان الحرص على سهولة اللفظ وانطباقه في وضعه واشتقاقه على المعنى المستحدث المقصود او على ما يقاربه امر يعلمه الجميع فليس ذلك مما اريد التنبيه عليه هنا . ولكني أنبه القوم عند ارادة التواطؤ على لفظ اصطلاحي جديد ان يراعوا فيه فوق ماذكر اجتناب اشتراك اللفظة على قدر الامكان في معنى آخر مألوف شائع الاستعمال . لان الالفاظ المشتركة في كل لغة من لغات البشر هي مظهر ضعف فيها بما تولده من الالتباس لا مظهر قوة خلافاً لما يتوهمه كثيرون حتى انهم ليفتخرون بوجود هذه الالفاظ المشتركة في لغتهم . على ان أوسع اللغات مادةً لا تستغني عن هذا الاشتراك لان الالفاظ محدودة والمعاني والافكار غير محدودة فلا بد ان تزيد هذه على تلك ومن ثم يقع الاشتراك . فكلما تمكن خدام لغة ان يتخلصوا من الاشتراك عند احتياجهم الى لفظ جديد وجب عليهم ان يغتنموا فرصة اجتنابه . وهو المبدأ الذي أشير اليه وبناءً على ذلك كان اقرب الى الصواب ان يسمى التلفون مِهتفاً او مِهتافاً او مِهتفةً بكسر فسكون في الجميع على اوزان اسم الآلة القياسية او مَهتفاً بفتح فسكون على صيغة اسم المكان عوضاً عن تسميته هاتفاً الذي له معنى آخر شائع الاستعمال . وهكذا قل عن اختيارهم لفظ الحاكي للفونوغراف وكان أقرب الى الصواب اختيار لفظ (مِحكىً او مِحكاءً او مِحكاة) بكسر فسكون او مَحكى بفتح فسكون وقد اصابوا في تسمية البيانو معزفاً ولم يقولوا عازفاً . وقس على ذلك كثيراً من نظائره .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« في الصرف » = اما الصرف ففيه أبواب سماعيـة عظيمة الخطر وقد ذكروا لها دلائل وضوابط نقريبية فما ضرّ علماء لغتنا اليوم ان ينعموا فيها نظرهم فعساهم ان يروا قسماً كبيراً من هذه الدلائل جديراً بحسبانه قياسياً مطرداً بحيث يقل السماع في هذه الأبواب وتخف الصعوبة الى مقدار ثلثها او ربعهـا . واهم الابواب المقصودة بالبحث هي ما يأتي :

مزيدات الأفعال والمعاني المختلفة الناشئة عنها من مبالغة ومطاوعة ومشـاركة وتحويل وسلب وتكلف واصابة الشيء على صفة وهلم جرا . اوزان المصـادر الثلاثية . اوزان الجمع المكسر . لزوم الفعل وتعـديه وتعيين حرف الجر للازم . اختلاف حركة العين في المجرد الثلاثي ماضياً ومضارعاً . النحت — سواء كان من جملة اومن لفظ جامد — ووجوب التوسع فيه على منهج قياسي يبين حدوده بحيث يكون لنـا من هذا الباب كنز ثمين مكشوف على ان معظمه لم يزل مدفوناً الى الآن . وجل فائدته حينئذ تكون في اختيار الالفاظ الاصطلاحية الجديدة مما يحسب لنا في ذلك ركناً عظيماً ثالث اثنين هما الاشتقاق والتشبيه . ومعلوم ان باب النحت مفتوح على مصراعيه في اللغات الاوربية . والاقوام هناك يستغلونه احسن استغلال فلماذا يقتصر العرب على غلتـه الضعيفة الضئيلة المحصورة في الفاظ منحوتة قليلة وصلت اليهم من اسلافهم اذا كان يمكنهم التوسع في هذا الباب توسعاً يلائم اذواقهم ولا يخالف طبيعة لغتهم .

ويضاف الى ذلك ازالة غموض واقع في قواعد كتابة الهمزة واريد به كيفية حسبان الهمزة في نحو انشأوا لاننا اذا اعتبرناها طرفاً بحسبان اللفظة كلتين الفعل انشأ والضمير الواو كتبناها بصورة الالف كما اثبتناها هنا واذا اعتبرناها واقعة حشوا بحسبان اللفظة كلة واحدة تبعاً لصورتهـا الخطية كتبناها بصورة الواو هكذا انشؤوا وذلك طبقاً للقواعد المقررة . ومن هذا القبيل همزة مسألة فالقاعدة تقتضي كتابتها بصورة الالف كما يراها القارئ هنا على ان فريقاً من جلة علمائنا اللغويين يكتبونها هكذا : مسئلة . فما وجه ذلك وهل كلا الوجهين وجيه ولماذا ؟ وعندوصولي الى هذه السطور تذكرت ان كثيرين من كتابنا اليوم يكتبون همزة هيئة بصورة الالف هكذا هيأة ظانين انها مثل نشأة وجرأة وليس الامر كما توهموا فان همزة هيئة مسبوقة بياء في آخر كلة مختومة بتاء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التأنيث وهذه الحالة تقضي بجعل اليـاء كرسيًا للهمزة ومثل هيئة الخُطَيئَة وخطيئة وبيئة ومشيئة وهلم جرًا ·

ويخرط في هذا السلك وجوب ازالة كل قطع شديد الظهور في قواعد الاعلال ومن أمثلته انهم زعموا حرف العلة يحذف من نحو قُمْ واصلها قُوْمْ ونحو خَفْ واصلها خَافْ ونحو مضَتْ واصلها مضَاتْ دفعًا لالتقاء الساكنين وهو قول حق في ظاهره ولكنه لا يثبت على محك النقد في جميع احواله · لان المانع الذي ذكروه اي التقاء الساكنين قد يزول و يبقى بعد زواله حرف العلة محذوفاً فلا يعاد الى الكلمة فنحن نقول : قِ الآن بكسر ميم قْ لاقوم الآن ومثلها خفِ الله لاخافِ الله · ومضتِ الايامُ لامضاتِ الايامُ · ولا يضر الحركة في هذا المقام كونها عارضة مادام التقاء الساكنين المحسوب سببًا لاعلال الحذف يزول بها ثم اننا نقول المرأتان رمتا ومضتا بحذف الالف لا مضاتا ولا رماتا · فالجدير بعلماء الصرف في مثل هذه المآزق ان لا يعولوا على تعليل ناقص بل ان يسندوا الامر الى ماعرفوه بالاستقراء من كلام العرب القدماء اصحاب اللغة فيشيروا الى مواضع حذف او اثبات احرف العلة دون ان يجتهدوا كل مرة في تحويل العلم النقلي الى علم عقلي · فهذا التحويل يؤانيهم تارةً و يعصيهم تارةً أخرى كما رأينا ·

ثم اني أعرض امرًا آخر صرفيًا لعل اهل النظر والتحقيق يستجيزون فيه تساهلاً وتسامحًا واريد به بناء افعل التفضيل مما فوق الثلاثي او من الفعل المبني للمجهول فقد حظر الصرفيون ذلك ولكن الأمثلة في كلام فصحاء العرب اكثر من ان تحسب ندورًا اوشذوذًا عن هذا القيد · ومنها قولهم : العودُ أَحْمَدُ من حُمِد المجهول · وقولهم : هذا الكتاب اخصرُ من ذاك · هو اعطاهم للدينار · اننا أحوج الى امير فعّال الخ ببناء افعل التفضيل من الأفعال المزيدة اختصرَ واعطى واحتاج · فما رأي مجامعنا اللغوية في ذلك ؟

* * *

« في النحو » = اما النحو فيجب فيه قبل كل شيء تتبع المذاهب الضعيفة التي نكاد نراها مندسة في جميع ابوابه فيقضى عليها قضاءً مبرمًا و يجعل حكمها وحكم الممنوع واحدًا بحيث لا يصح ان يحتج بحكمها احد حين يرتكب شيئًا منها لسهو او جهل او ضرورة ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وينبغي ان يدخل في هذا الحظر بابان سماعيان نص النحاة عليهما واولهما باب التضمين ومن أمثلته قولهم :

يا أيها الراكبُ المزجي مطيته سائلْ بني اسدٍ ما هذه الصوتُ

وكان حقه ان يقول ماهذا الصوت ولكنه ضمن الصوت معنى الضجة والجلبة فجاز له ان يقول هذه الصوت كما يقول هذه الضجة او الجلبة .

والباب الثاني المجاورة ومن أمثلته : هذا (جحرُ ضبٍّ خربٍ) بخفض خربٍ لمجاورته ضب وهو مخفوض وكان حقه الرفع فيقال خربٌ لانه نعت جحر وهو مرفوع . ومن أمثلة هذا الباب البيت المشهور :

وما حبُّ الديار شغفن قلبي ولكن حبُّ من سكن الديارا

قال شغفن لمجاورته الديار وكان الوجه ان يقول شغف قلبي بافراد الفعل وتذكيره لانه عائد الى حب وهو مفرد مذكر . وكل ذلك من فلتات كلام العرب التقطه مدونو اللغة وبنى عليه النحاة بابي التضمين والمجاورة فكانا مزلقة ومعثرة لبعض الاقلام او حجة لاهل التحلل والمماحكة فما أحرانا بالتصريح في ايصاد البابين ايصاداً محكماً لا يدع مقالاً لقائل . نعم ان النحاة اشاروا الى حظر القياس فيهما ولكن اشارتهم تلك لم تزل محتاجة الى تعزيز من قبل مجمع لغوي عام او مجامع لغوية متفقة الأحكام .

وهناك باب سماعي ثالث هو باب القلب وأراه أخف خطباً من بابي المجاورة والتضمين ولا بد ان يرى الباحثون فيه شيئاً يقبله الذوق والعقل وشيئاً آخر ينكرانه ولا يصعب عليهم ذكر علامات تفرق بين القسمين ثم اجازة القياس في المقبول منهما وضعه في المكروه ومن امثلة المقبول في نظري (عرضت الحوض على الابل) والاصل : عرضت الابل على الحوض . وقول عنترة العبسي :

بطلٌ كأنَّ ثيابه في سرحةٍ يحذي نعال السبت ليس بتوأم

قال : كأن ثيابه في سرحة اي شجرة عالية على القلب والاصل ان يقال : (كأن سرحة في ثيابه) . ومن أمثلة القلب المكروه قولهم : (خرق الثوبُ المسمارَ) برفع الثوب وجعله فاعلاً عوض ان يقال خرقَ المسمارُ الثوبَ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واما باب النحت وهو باب سماعي رابع فقد مر الكلام عليه في المباحث الصرفية من هذا المقال :

بقيت لي كلمة في مسألتين من مسائل النحو : الاولى مسألة افراد الفعل مع الفاعل المثنى او المجموع ومع نائب الفاعل المثنى او المجموع . نحو : رحل الضيفان ورحل الضيوفُ وأكرم الضيفان واكرم الضيوف . فقد اوجبوا الافرادَ في ذلك وحظروا تثنية الفعل وجمعه حظراً شديداً لئلا يكون للفعل الواحد فاعلان . ثم اوردوا من القرآن الكريم ومن كلام فصحاء العرب امثلة تخالف هذه القاعدة التي سماها بعضهم « لغة اكلوني البراغيث » لان في هذه الجملة مخالفة للقاعدة المذكورة . وسماها آخرون لغة : اسروا النجوى الذين ظلموا . او لغة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار : وخرّجوا امثال هذه الآيات على جعل جملة الفعل خبراً مقدماً لما بعده او على جعل الواو في الفعل علامة جمع لا ضمير جمع والاسم المرفوع بعده فاعلاً وكذلك لو ورد الفعل بصيغة التثنية فالالف فيه حينئذ علامة لا ضمير واقع فاعلاً اوعلى جعل يتعاقبون ونحوه فعلاً وفاعلاً والاسم المرفوع بعده بدلاً من الضمير اللاحق به .

وقد قلت انه كثير ورود الفعل بصيغة التثنية والجمع مع الفاعل او نائب الفاعل المثنى والمجموع خلافاً للقاعدة النحوية مما دل على انها قاعدة اغلبية لا مطردة وان ما خرج عنها لا يعد شاذاً او ضعيفاً بل فصيحاً مقبولاً . والذي أنذكره ان الامير ابا فراس الحمداني استعمل ذلك في ديوانه مراراً عديدة وهو ذو قدم راسخة في الفصاحة وحر الكلام العربي فشعره مما يستأنس به ولو تقدم عصره قرنين لكان مما يحتج به كما يحتج كثيرون بشعر بشار بن برد ويحتج الجميع بمن قبله قليلاً وهم فصحاء العصر الأموي . وبما اني اكتب هذا المقال وانا مصطاف في جبل الاكراد بعيد عن كتبي وغيرها من الكتب أراني مضطراً الى إغفال ما كنت اود ايراده من الشواهد والأمثلة على هذا الامر وعلى غيره من محتويات الموضوع وانما اوردت من ذلك ما ساعدني الذاكرة عليه واقتصرت من الملاحظات على ما استحضره ذهني لساعته ماعدا ذكر الأجناس الشاملة لأنواع البديع مما سيمر به القارئ فقد كنت مشيراً اليها في مذكرة خصوصية صحبتني في مصيفي .

كذلك رأيي في تثنية الفعل وجمعه مع الفاعل او نائب الفاعل الغير المفرد ولكنه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رأي لم اجسر على العمل به الى الآن لاني لا اجزم بصحته فهو قابل النقض والابرام فهل لأفاضل علمائنا فحص هذه المسألة وتمحيصها ·

واما المسألة الثانية التي أود ان اشير اليها فهي تناقض المعنى الممكن استخراجه من فعل مضارع منصوب بعد الفاء السببية في جواب النهي نحو : لا تفعلْ كذا فتندمَ · فقد يكون الندم مترتباً على فعلك ذلك الشيء وقد يكون مترتباً على عدم فعلك اياه · وهذا تناقض ظاهر · واذا كانت القرينة العقلية تساعد على تعيين احد النقيضين في بعض الجمل · فانها لا تساعد على تعيينه في جمل أُخرى لانتفائها منها كالجملة التي اوردناها هنا ومن الأمثلة المشتملة على القرينة العقلية المساعدة قولهم : لا تقترب من النار فتحترق · اذ يفهم منه ان احتراقك مترتب على اقترابك من النار · وقولهم : لا تقترب من النار فتسلم فالمفهوم ان سلامتك مترتبة على عدم اقترابك من النار · ولعل معظم ما ورد من اقوال العرب في هذا الباب معلق على ايجاب القضية لا على سلبها · ومن ذلك قولهم : لا تطمع العبدَ الكراع فيطمع في الذراع · اي ان طمعه مترتب على اطعامه لا على عدم اطعامه · وقولهم : لا تكن رطباً فتعصر ولا يابساً فتكسر · اي ان انعصارك وانكسارك مترتبان على كونك رطباً او يابساً لا على عدم كونك بهاتين الصفتين · غير ان ترجيح الاثبات الذي المحه ساعة كتابة هذه السطور ولو صح لا يمنع وجه الاضطراب والالتباس في هذا الباب فلا بد لنا من معالجته باجتهاد لعلنا نهتدي الى ما يدفع الشبهات من طريقه وهي موضع حزازة في الصدر ·

* * *

« في العروض والقوافي » = في العروض جوازات ضعيفة مستهجنة يستندون فيها الى ما ورد من امثالها على ندور في الشعر العربي القديم وارى من الصواب ايصاد بابها تماماً وعدها خطأ محضاً لا جوازات ضعيفة على مثل ما اشرت به في المذاهب النحوية الضعيفة · ومن هذه الجوازات العروضية الضعيفة الاشباع والاختلاس في غير مواضعها المعروفة عند ارباب الفن · ومنها على ما اتذكر استعمال فَعِلن بكسر العين عوض فاعلن · في عروض السريع الى غير ذلك ·

ثم ان كثرة الزحافات والعلل في علم العروض واسماء دوائره الخمس واستخراج البحور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

منها . كل ذلك مدعاة تعسير لطالب العلم لا تسهيل وتمهيد سبيل وهو امر يحس به جلياً كل من عانى هذا العلم تعلماً او تعليماً . فأي طالب لا يجد قولك له ان فاعلن يجوز حذف النه في الموضع الفلاني اسهل على ذهنه وذاكرته واخصر لوقته من قولك له ان فاعلن في الموضع الفلاني يدخل عليه الخبن . و يكون قد تعنى في معرفة الخبن كيف يكون و كثيراً مايخلط بينه وبين غيره من الزحافات . وهكذا لو قيل له ان فعولن تحذف نونه جوازاً او وجوباً في الموضع الفلاني والموضع الفلاني فذلك اسهل عليه كثيراً من قولك له ان فعولن يدخله القبض وقس على ذلك خمسين او ستين تسمية من هذا القبيل ولو كانت تسع تسميات او عشراً لهان خطبها واحتمالها . ومن ثم ارى الاستغناء عن هذه التسميات الطويلة العريضة التي ليس تحتها طائل كبير مادام المتعلم يمكنه الوصول الى النتيجة المقصودة منها على طريق اسهل وارسخ في الذهن بحفظه مواضع التغيير في الاجزاء العروضية بحراً بحراً الا اذا كان له ميل خصوصي الى استيعاب تلك الحدود والمصطلحات القديمة او له غاية خصوصية من ذلك كارادة الاحصاء او التلذذ باثر فني من آثار السلف وكان في متسع من وقته وشواغله لقضاء هذه اللبانة فله ما يشاء . و يسرنا ان كثيرين من مؤلفي الكتب العروضية في عصرنا جروا في مؤلفاتهم هذا المجرى السهل ولعله عن قريب يصبح عاماً في مدارسنا .

واما علم القافية فالذي أراه فيه امكان التساهل في سناد التأسيس نحو قابلُ بضم اللام و ينقلُ بضم اللام . ومثله سناد الردف اذا اتصل بالروي حرف الوصل نحو بوصهِ وبعصه كما ورد في البيتين المشهورين :

اذا كنتَ في حاجةٍ مرسلاً فأرسل حكيماً ولا توصهِ
وان بابُ امرٍ عليك التوى فشاور حكيماً ولا تعصه

فان امثال ذلك واردة في كلام عدة فحول من القدماء والمولدين . واذا كانت الذاكرة لم تخنّي فالحريري في مقاماته وابو العلاء المعري في الرسائل المنسوبة اليه ارتكبا مراراً سناد التأسيس . ولكن المسألة مع ذلك تحتمل نظراً و بحثاً وتحتاج الى حكم المجامع العلمية . وعلى هذه النية عرضتها هي وبقية المسائل التي تناولتها في هذا المقال :

و كيفما كان الامر فان توصهِ وتعصهِ وما جرى مجراهما . وقابلُ و ينقلُ وما جاء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على وتيرتها أيسر تجوزاً وأقرب الى الذوق وأخف على السمع حسب رأيي من ارتكاب سناد التوجيه في نحو ادَبْ بفتح الدال وسكون الباء . ويجِبْ بكسر الجيم وسكون الباء في نقفية وحدة مما اولع به جلُّ شعرائنا اليوم واتاه كثيرون غيرهم من شعراء العصور السالفة ومن ارتكاب المخالفة بين الواو والياء في المردوف الساكن نحو غديرْ وصبورْ بسكون الراء فيهما . وبما ان اساس علم القافية الفطرة والذوق الطبيعي فمن منا لا يرى ان أذواق العامة وفطرتهم تشهد لي وتشاركني في عدم استحسان هذه الارتكابات فهل لأدبائنا ان يعملوا فكرهم في ذلك فلعلهم يتحملون قليلاً من العناء حين ينظمون في تخليص منظوماتهم من هذه الهجنة .

* * *

في علم البيان

« فنونه المعاني والبيان والبديع »

تعود مؤلفو الكتب البيانية ان يذكروا احوال المسند اليه في تقديم وتأخير . وتعريف وتنكير . وحذف وذكر . وافراد واجمال . واظهار واضمار . ثم يذكروا أحوال المسند في هذه الامور ثم يقولوا ان كثيراً من هذه الاحوال وقواعدها ومتعلقاتها لاتقتصر على المسند والمسند اليه بل تتعداهما الى سائر اجزاء الكلام كالمفاعيل وغيرها من الفضلات وكالمضاف اليه والمجرور بالحرف . فاذا كان الامر كذلك — وهو كذلك — أفليس الاسهل عليهم في التأليف والتصنيف والاسهل على منتجعي الفائدة من كتبهم وأضمن لعدم تشتت أذهانهم ان يعدل عن هذا التبويب القديم المعتاد الى تبويب آخر اقرب الى التلاؤم والتناسب بحيث تذكر مواضع الحذف والذكر ثم مواضع التقديم والتأخير ثم مواضع التعريف والتنكير وهلم جرا .

واحوال هذه الابواب تتناول المسندين وسائر اجزاء الكلام الا ما كان منها ينفرد ببعض دون بعض وهو شيء قليل ينبه عليه المؤلف في موضعه . وأتذكر ان كتاب البيان المقرر للتدريس في معارف القطر المصري جار هذا المجرى ولكنه شديد الاختصار الى حد النقص والخلل فهو لا يشفي غلة أديب ولا متأدب . ولا شك ان ذلك ليس قصوراً ولا تقصيراً من مؤلفيه الكرام بل اقتصاراً حملهم عليه المقترحون في مراجعهم الرسمية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي كتب فنون البيان عندنا — المعاني والبيان والبديع — تداخلٌ لا ارى له وجهاً سديداً بل اراه مدعاة تشويش واعنات للذهن . ولعل علماءنا يتنبهون الى معالجته فيزيلوا مواضعه او بعضها ثم اذا تعذر عليهم ازالة سائرها نبهوا اليها الدارس وجعلوه على بصيرة من امره .

فمن مواقع التداخل نوع البسط والايضاح في البديع فليسا الا من باب الاطناب في المعاني ومثل ذلك الاحتراس والايغال والتتميم فهي من الاطناب ايضاً وقد ذكرت في المعاني وفي البديع . والقلب في باب مخالفة الظاهر من ابواب المعاني هو انفس التشبيه المقلوب في البديع . والاستعارة التهكمية في باب المجاز المفرد من فن البيان مذكورة ايضاً في باب المجاز المرسل من هذا الفن لانها هي نفسها التي قوامها تسمية الشيء باسم ضده . ومذكورة في البديع باسم التهكم . ثم ان المجاز والاستعارة والكناية والتشبيه هي اجناس كثيرة الفروع تستغرق فن البيان بجملته وتفصيله وقد وفاها هذا الفن حقها من التقسيم والتمثيل فما معنى اعادتها باسمائها في فن البديع باعتبارها انواعاً بديعية كغيرها من تلك الجزئيات مع انها اجل شأناً من ذلك بكثير فهي مصدر واساس القسم الاكبر من الانواع البديعية .

ومن هنا يظهر للمتأمل وجوب ادخال تهذيب وتشذيب على كتب البيان عندنا لاجل التخلص من هذه المغامز .

* * *

وصلت الى القاء كلمتي الخصوصية في فن البديع فأقول :

اول ما ظهر من أنواع البديع خمسة او ستة أنواع ثم اخذ المشتغلون فيه يستقرون عيون الكلام العربي نظماً ونثراً فيستخرج الواحد منهم عدة انواع يطلق على كل نوع منها اسماً و يعقبه آخر فيستخرج غيرها حتى أصبحت الأنواع البديعية اليوم من معنوية ولفظية نحو مئتي نوع . وهذه كثرة مزعجة نرى المتعلمين لا يطيقونها الا قليلين منهم ولهم في تذمرهم وتضجرهم عذر مقبول . لان المتأمل في هذه الانواع يرى بعضاً منها حطيط المنزلة لايستحق ان يعنى به و يطلق عليه اسم خاص . وبعضاً آخر حسناً اولا بأس فيه ولكنه مشارك لغيره فليس له ان يستقل عنه في التسمية . وبعضاً ثالثاً هو من شروط

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البلاغة الاساسية كالتهذيب والسهولة والانسجام والوضوح فكيف يحسب من جملة الأنواع البديعية التي لا تخرج عن كونها شيئاً اختيارياً ولكنه مستملح مرغوب فيه لانه يزين الكلام اذا حذق الشاعر او الكاتب استعماله والا كان تافهاً وربما شوّه القول وهجّنه وجعله ثقيل الظل وخيم المرتع .

وقد فكرت في ذلك ملياً وقلت ان هذا الفن أصبح معرضاً لناموس رد الفعل فهو الآن محتاج الى شيء من الاندغام والاندماج عوض ما وقع فيه من التمدد المفرط المحسوب مضلةً ومتاهةً ومن ثم اجتهدت في رد أنواعه الى اجناس قليلة يدخل تحت كل جنس منها عدة انواع فاذا أحاط الدارس بهذه الأجناس ومرن عليها واخطرها على باله حين ينظم او ينثر كان محيطاً بكل انواع البديع وان فاته شيء منها فهو شيء زهيد لا يعبأ به ذلك مع تخلصه من عناء الدرس والمزاولة لمئتي نوع وحفظ اسمائها وتعريفاتها وشواهدها وامثالها فلا يلقى من العناء في مزاولة هذه الأجناس والانتباه الى امثلة رئيسية منها سدس او سبع ما يلقاه من العناء ويخسره من الوقت في مزاولة تلك الأنواع وتوفيتها حقها على الطريقة المتبعة اليوم . وبعدما يستوعب الاجناس المذكورة اذا اراد الاكتفاء بها لم يحرمه اكتفاؤه شيئاً من جوهر البديع . واذا أراد ان يستقصي الانواع واسماءها وحدودها فله ان يأتي ذلك على مهل كما رأى من وقته متسعاً ويكون ذلك الاجمال قد مهد له سبيل تلك التفاصيل فيستأنس بها ذهنه وترسخ فيه لما يربطها من التآلف والتناسب بفضل تلك الاجناس التي احتضنتها وظللتها .

ومع ذلك فاني لا ادعي ان ما قسّمته هو حتماً الصواب كل الصواب وانه التقسيم الجامع المانع فقد يكون كذلك وقد يكون دون ما املته وتوخيته من الصواب التام غير بالغ حبة قلبه بل لا يزال يعوزه شيء من التعديل والتحوير . فاترك التتميم حينئذ لقلم غير قلمي وحسبي اني مهدت السبيل وفتحت الباب وجريت في باحة الدار شوطاً وان منعني العجز او التعب او كلاهما عن استقصاء مخادعها ودهاليزها .

واليك الآن الاجناس البديعية او الامهات البديعية التي لنبهت اليها :

« الموافقة . المخالفة . الترتيب . المبالغة . الاستدراج . التلميح . حسن التعليل . الايهام . التدقيق . التوليد . الكلام الجامع » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اما الموافقة فتنطوي على الأنواع الآتية : انواع الجناس · المراجعة · التوشيح تشابه الأطراف · التفويف · التصدير · مراعاة النظير التمثيل · التوجيه · الترديد · التكرار · المناسبة · التشبيه · التفصيل · المشاكلة · الجمع · التصريع · تشبيه شيئين بشيئين · الاشتقاق · الائتلاف · المماثلة · التسهيم · التطريز · الترجيع · التفريع · السجع · التسميط · الالتزام · ائتلاف اللفظ مع المعنى ومع الوزن · ائتلاف المعنى مع المعنى · الحذف · التدبيج ·

واما المخالفة فتنطوي تحتها الأنواع الآتية : الطباق · المقابلة · ايهام التضاد · المناقضة · العكس · التفريق · السلب والايجاب · الرجوع · الاستدراك ·

واما الترتيب فينطوي تحته ما يأتي : الترتيب · الطي والنشر · ايهام التناسب · الاطراد · التقسيم · التفسير · الايضاح · حسن النسق · التشطير · التعديد · جمع المؤتلف والمختلف · المزاوجة · الجمع مع التقسيم · الجمع مع التفريق ·

واما المبالغة فتشتمل على ما يأتي : التبليغ · الاغراق · الغلو · القسم · تجاهل العارف · الاستثناء · حصر الجزئي والحاقه بالكلي ·

واما الاستدراج فيشتمل على ما يأتي : الافتنان · التذييل · الاستتباع · الادماج · حسن التخلص · عتاب المرء نفسه ·

واما التلميح فيدخل في دائرته ما يأتي : التلميح · الاشارة · الاكتفاء · التوجيه · الاقتباس · التضمين · الايداع · الإلغاز · براعة الطلب ·

واما حسن التعليل ففيه ما يأتي : حسن التعليل · الالتفات · المذهب الكلامي · الاتساع · المغايرة ·

واما الايهام فهذه فروعه : التوهيم · الايهام · المدح في معرض الذم · الذم في معرض المدح · التورية · الاشتراك · الاستخدام ·

واما التدقيق فهذه فروعه : التشريع · الايغال · الاعتراض · الاحتراس · الفرائد · التنكيت · التكميل ·

واما التوليد فهذه مشتملاته : التوليد · سلامة الاختراع · حسن الانباع · واما الكلام الجامع ففيه الكلام الجامع وارسال المثل ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعند التحقيق يظهر لنا ان هذه الاجناس المنطوية على هذه الانواع لاتقتصر على الانواع المختصة بفن البديع حسب تعريف هذا الفن بل تتناول معظم الاساليب البليغة التي تشير اليها فنون البيان الثلاثة المعاني والبيان والبديع ومن ثم يمكننا اضافة جنس ثاني عشر الى الاحد عشر جنساً المار ذكرها وهو جنس الكناية فانه يشتمل على الكناية والتعريض والارداف والايضاح والقول بالموجب .

وبديهي اني حين اخترت لهذه الاجناس اسماءها قصدت فيها امتداد معناها اللغوي لكي تنطبق على ماتحتها من الفروع فلم اقتصر في اسم التوليد مثلاً على مدلوله باصطلاح فن البديع وهكذا حين اقول ان من فروع التوليد التوليد وكذا وكذا من الانواع اعني ان جنس التوليد وهو احد الاجناس التي استخرجتها وجمعت شتاتها يتفرع عنه نوع التوليد حسب تعريفه عند البديعيين كما يتفرع عنه كذا وكذا . وقس على ماذكر قولي ان حسن التعليل فيه حسن التعليل اي ان هذا الجنس فيه نوع حسن التعليل البديعي الخ .

ولا يلزمني هنا ان اورد على الانواع او على بعضها شواهد وامثلة تبينها وتوضح كيفية اتصالها باجناسها فان هذا بسط يخرج عن طوق عجالة كعجالتي الحاضرة . وانما يطالب به كتاب يصنف خصوصاً لهذا الغرض . على ان كل اديب ومتأدب يمكنه ان يمتحن الامر بنفسه الى المقدار الذي يشاؤه عارضاً على الاجناس التي ذكرتها امثلة من هذه الانواع إما من محفوظه واما مما يقع تحت يده من كتب البديع والادب . والله الهادي الى الصواب .

اللاذقية : ادوار مرقص

عضو المجمع العلمي العربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net